وتحركات عسكرية مصرية، شبيهة بتلك التي قام ويقوم بها السوريون في الجولان، وأبدى البعض تخوفهم من أن يكون ذلك اعداداً لشن الحرب. لكن الاستخبارات فسرت تلك التحركات بأنها مناورات واسعة، أطلق عليها اسم «تحرير ٤١»، يتم جزء منها حتى بالذخيرة الحية. واستمرت الاستخبارات في تمسكها برأيها هذا، رغم ورود المزيد من الأنباء عن الاستعدادات المصرية للحرب، موضحة، للدلالة على صحة استنتاجها، أن عدداً من كبار ضباط الجيش المصري يستعدون لأداء فريضة الحج (١/٢٩٩ – ٣٠٤). وكان الاعلان عن استعداد عدد من الضباط المصريين لإداء فريضة الحج إحدى الخدع التي لجأ إليها السادات، لتضليل الاسرائيليين وإيهامهم بأنه لا ينوي شن الحرب عليهم. ولكن، على الرغم من تقييم الاستخبارات هذا، أبدى دايان تخوفه من «علقة» في الجولان على الأقل، على شكل عملية تأديبية يقوم بها السوريون ضد مستوطنة أو اثنتين هناك. ولذلك صدرت الاوامر بالاستعداد لمجابهة مثل هذا الوضع، دون الاعلان عن ذلك او التحدث بشأنه كثيرا، حتى لا ينشأ جو من التوتر قد يدفع الاميركيين لممارسة الضغط على اسرائيل، وحتى لا يتوتر الوضع داخل اسرائيل نفسها، مما قد يمس بمركز التجمع العمالي الحاكم في الانتخابات المقبلة (١/٣٠٨ و٣١٦ و٣١٧). واستمرت المعلومات في التدفق، مؤكدة، أكثر فاكثر، على استعدادات عسكرية اضافية، مصرية وسورية، لا يمكن أن يفهم منها الا أنها اعداد لشن حرب مشتركة ضد اسرائيل، خصوصا بعد أن أعلنت حالة الطوارىء القصوى في الجيش المصري. لكن الاستخبارات بقيت عند رأيها، ففسرت الاستعدادات السورية بأنها اجراءات احتياطية تحسبا من هجوم اسرائيلي على سوريا، أما الاستعدادات المصرية المتزايدة فليست إلا مرحلة اضافية من المناورات (١/٣١٠ و٣١٢).

غير أن ثقة الاستخبارات الاسرائيلية العالية بنفسها راحت تهتز، ابتداء من ظهر الخميس ٤/١٠، عندما وصلتها الأنباء عن خروج عائلات الخبراء الروس بالجملة من مصر. ولسبب ما، كان هذا النبأ، لوحده وبحد ذاته، كافيا لهز «المفهوم» السائد حتى ذلك الوقت: فتقرر على الأثر القيام بتعبئة جزئية، فالغيت الاجازات واستنفر سلاح الجو، وأصدرت الاستخبارات «تقييما استراتيجيا» جديدا للوضع، لا يخلو أيضا من الثقة بالنفس، جاء فيه أنه «ليس [لدى الاستخبارات] برهان ايجابي على ان [التحركات المصرية والسورية] ليست استعدادات هجومية» (١/٣١٨). إلا أن هذا التقييم لم يحظ باعجاب غولدا مئير، رئيسة الحكومة الاسرائيلية، التي دعت حكومتها الى جلسة خاصة لبحث التطورات الاخيرة، تقرر في نهايتها تفويض رئيسة الحكومة ووزير الدفاع بتعبئة أية قوة قد تنشأ ضرورة لها (١/٣١٩). وإثر انتهاء جلسة الحكومة، عقدت رئاسة الأركان أيضا اجتماعا استثنائيا خاصا بها، ظهر يوم الخميس ٤/١٠، توصل المجتمعون، في نهايته، الى نتيجة مفادها انه ليس هنالك حرب (١/٣٢٠). ولكن، وعلى سبيل الحيطة، تقرر المبادرة الى تقديم طلب الى الاميركيين، للحصول على أنواع معينة من الأسلحة والذخائر، وكذلك على ابقاء اذاعة الجيش جاهزة للعمل، في يوم الغفران، لدعوة قوات الاحتياط ان دعت الضرورة لذلك. وفي مساء اليوم التالي، وصل ما وُصف بأنه «خبر مهم»، فقد قال الغازار عنه عندما علم به فيما بعد – اذ كانت الاستخبارات قد حجبته عنه حتى لا «تزعجه» – انه لو عرف به في حينه لأمر باستدعاء كافة قوات الاحتياط فورا (١/٣٢٢).

ومع الانتهاء من تسجيل ما وقع من تطورات، حتى مساء الجمعة ٥/١٠، أي حتى عشية نشوب الحرب، ينتهي الجزء الاول من الكتاب، ليكرس الجزء الثاني منه، باكمله، لعرض وقائع الحرب، من خلال وجهة نظر رئيس الأركان الاسرائيلي، واستنادا الى يوميات رئاسة الأركان. وهذه الوقائع مبوبة زمنيا، وفق اليوم والساعة، وتغطي فترة العشرين يوما، الواقعة بين ٦ و٢٥ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣، اي منذ نشوب الحرب وحتى وقف اطلاق النار.

وقد بدأت الحرب، عمليا، بالنسبة لاسرائيل في الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم السبت ٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣، الذي صادف أيضا يوم عيد الغفران، وهو أقدس الاعياد لدى اليهود، بمكالمة هاتفية من العقيد يهوشواع رفيف، السكرتير العسكري لوزير الدفاع الى الغازار، أبلغه فيها أن الخبر الذي طال انتظاره قد وصل أخيرا (من الاميركيين)، وهو غير قابل للتأويل، ومفاده أن الجيشين، المصري والسوري،